

خطاب صاحب الجلالة
جواباً عن خطاب الرئيس كيندي بالبيت الأبيض

الحمد لله

فخامة الرئيس :

لما تلقيت منذ بضعة أشهر دعوة فخامتكم لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية قبلتها شاكرا، وأبيت إلا أن ألبيها رغم جسامة مهامي، وتعدد المشاغل التي تستأثر بجل أوقاتي، لاسيما في هذه السنة التي سيشهد فيها بلدي توطيد أركان الحكم الديمقراطي، بإقامة مؤسسات نص عليها دستور صادق عليه شعبي في أعقاب السنة الماضية.

والذي جعلني أسر مثل شعبي بدعوتكم الكريمة يا فخامة الرئيس، وحفزني لتلبيتها دون ابطاء سببان اثنان : أحدهما خاص، ويتمثل فيما للشعب المغربي وملكه من رغبة في توثيق عرى الصداقة التي تطبع علائق المغرب والولايات المتحدة، تلك الصداقة التي خط أول سطر في سجلها الحافل جدي المنعم السلطان سيدي محمد بن عبد الله والقائد العظيم جورج واشنطن أول رئيس لجمهورية الولايات المتحدة، والآخر عام : ويرجع إلى ما لنا من جازم الاعتقاد، بان الاتصالات المباشرة والمذكرات الصريحة بين قادة الشعوب والمسؤولين عن سياسات الدول، خير وسيلة لتبادل الرأي، ودرس القضايا، وفهم المشاكل، وإيجاد ما تتطلبه من حلول تصون كرامة الكل وتحفظ ما للجميع من اعتبار.

والمغرب ـــ كما تعلمون يا صاحب الفخامة ـــ من البلدان التي حبتها الطبيعة بموقع جغرافي ممتاز، أهلها لأن تشهد عن كثب جميع الانقلابات الفكرية، والتطورات الحضارية، التي عرفتها الانسانية منذ أقدم العصور، وتطبعها بطابعها تارة، وتساير مواكبها مرة أخرى. وشعبه غيور معتز بمقوماته وتقاليده، مستمسك بمثله وقيمه، وهو إلى ذلك شعب كريم يدعو الى الحرية والتسامح والتساكن السلمي، ويرغب في أن يسود العالم الأمن والسلم باستمرار، وقد اتسمت علاقاته منذ القدم مع جميع الدول ـــ ومن بينها جمهورية الولايات المتحدة ـــ بطابع المودة والمجاملة، وتبادل المنفعة، ولئن عثر في مطلع هذا القرن كما تعثر الشعوب بين حين وآخر عبر مسالك الزمان ففقد حريته إلى حد ما، فإنه عرف كيف يستردها كاملة بعد حين، ويستأنف نشاطه على الصعيد الدولي، بفضل تضحية أبنائه، وشهامة ملكه الراحل محمد الخامس ومؤازرة حماة الحرية في كل مكان.

وإذا كان بلدي نجح في استخلاص حريته، فإنه وجد نفسه أمام تركة ضخمة خلفها له الاستعمار تتمثل فيما أبرم من معاهدات، وأخذ من التزامات، وتصرف من تصرفات نيابة عنه وأحيانا دون استشارة سلطته الشرعية ولا موافقتها، لذلك، كان في طليعة ما انصرفت إليه عناية والدي المرحوم تصفية هذه التركة، ورفع كل لبس عن السيادة الوطنية والوحدة الترابية للبلاد، ليمكن بعد ذلك توجيه العناية إلى تنظيم البلد على أسس جديدة، وإدخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تضمن حقوق المواطن المغربي، وتكفل له العيش الكريم.

وفي عالم تتقسمه الخلافات، وتتجاذب دوله وشعوبه التيارات، كالعالم الذي وجد فيه المغرب نفسه غداة استرجاع استقلاله خط والدي سياسة عدم التبعية، وجعلها المحور الذي تدور عليه علائق المغرب مع جميع الدول. وليست هذه السياسة كما يتوهم البعض، سلبية تنظر الى المشاكل الدولية بقلة اكتراث وترفض جميع الأفكار وإن كانت صالحة لمجرد ورودها من الشرق أو الغرب، بل هي على العكس سياسة إيجابية تتسم بالواقعية والحيوية، تستهدف التعامل مع جميع الدول — دون تمييز بينها من أجل الأديان أو اللغات أو الألوان على أساس المساواة والاحترام المتبادل واجتناب التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وأن تكون القرارات التي نتخذها والمواقف التي نقفها تجاه القضايا الدولية، منبثقة عن اقتناعنا ومصلحتنا، لا عن ملق أو تهديد، وانه لمن الصدف الغريبة أن تكون هذه السياسة مطابقة للسياسة التي سلكتها الولايات المتحدة عند نشأتها، فقد وجدت بينهما شبها كبيرا وأنا أتصفح تاريخ بلدكم العظيم، وأقرأ بإمعان قول الرئيس جورج واشنطون يوم 17 شتنبر 1796.

« راعوا حسن النية والعدالة تجاه كل الشعوب، واعملوا على تنمية السلم والوفاق مع الجميع، فإن الدين، والأخلاق السامية تملي علينا مثل هذا السلوك، وهل يمكن إذن أن تملي علينا السياسة الرشيدة سلوكا مخالفا لذلك ؟ ان أمة حرة متنورة يقدر لها أن تصبح عظيمة في مستقبل غير بعيد، إن مثل هذه الأمة جدير بها أن تكون للجنس البشري مثالا صالحا جديدا في نوعه لشعب يهتدي دائما بالعدالة والكرم المباركين. وفي سبيل تحقيق مثل هذا المخطط ليس هناك اعتبارٌ ما، أكثر أهمية من التجرد من عوامل التناكر المستحكمة المتأصلة في النفس ضد شعوب معينة، والتجرد أيضا من عوامل التعلق العاطفي بشعوب أخرى، وتنمية العواطف المستقيمة الودية نحو الجميع، فإن الأمة التي تضمر لغيرها كراهة مستمرة أو مودة مستمرة هي أمة مستعبدة إلى حدما : هي مستعبدة لحبها أو بغضها، وتكفي إحدى هاتين العاطفتين لصرفها عن واجبها ومصلحتها. وان بغض أمة لأخرى يجرها حتما الى ارتكاب الاهانة والاساءة، والبحث عن أدنى الأسباب للتذمر، والعمد إلى التشامخ واللجاج حين تحدث مناسبات طارئة أو واهية للخلاف.».

كما وجدت بينهما نفس الشبه وأنا أقرأ قول الرئيس توماس جيفرسون يوم 4 مارس 1801.

« العدالة الحقة السليمة نحو الناس جميعا على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم الدينية والسياسية، السلم والتجارة والصداقة الخالصة مع جميع الشعوب، عدم الاشتراك في الأحلاف المورطة مع واحد منها، الحرية الدينية، حرية النشر، حرية الفرد في ظل حقوق الانسان، المحاكمة بواسطة المحلفين المنتخبين دون محاباة، تلك هي المبادىء التي تشكل الكوكب النير الذي أنار طريقنا، وهدى خطانا خلال عهد الثورة والاصلاح.

فخامة الرئيس :

لنا كامل اليقين بأن المذاكرات التي سنجريها في جو من الصراحة والمودة وفي نطاق التفاهم والثقة، ستعطي المدلول الكامل للتصريح المشترك الخاص بالجلاء عن القواعد الأمريكية المقامة بالمغرب، الذي كان صدر في شهر دجنبر 1959 عقب المحادثات التي جرت بالدار البيضاء، بين والدي المرحوم وسلفكم في رئاسة الجمهورية الأمريكية، وتقدم مثالا صالحا لما يمكن أن تؤديه قواعد عسكرية من خدمات لفائدة تجهيز وتطور بلد يسير في طريق النمو كالمغرب، عندما تتحول بمساعدة حكومتكم إلى مراكز مدنية ذات مهام اجتماعية وعمرانية، كما أن لنا كامل اليقين في أن شعب الولايات المتحدة الذي عرف بتشبثه بأعلى القيم، وأسمى المثل، والذي كان على الدوام في طليعة الشعوب المناصرة للحرية، والمدافعة عن حقوق الفرد والجماعة، سيبقى دوما في الطليعة،



يعين على بناء عالم أفضل تسوده الحرية والرخاء، ويفيد الشعوب النامية في افريقيا والعالم أجمع، من خبرته وتجربته، وإمكانياته الطائلة المتنوعة دعما للسلم والاستقرار اللذين ما فتئت تنشدهما حكومتنا بلدينا بجد وإخلاص.

وختاما نجدد لكم فخامة الرئيس ولحليلتكم الموقرة الشكر على كرم ضيافتكم ولرجال حكومتكم وإدارتكم على العناية التي أحاطونا بها وللمواطنين الأمريكيين على حرارة الاستقبال التي خصوا بها مقدمنا.

ألقي بواشنطون

الأربعاء فاتح ذي القعدة 1382 — 27 مارس 1963